

مقاربات في الثقافة والعولمة

عالم ليلي
جامعة السانبا وهران

Abstract

Nous avons actuellement la fameuse période de mondialisation et une formidable révolution technologique de l'information et de la communication avec une politique économique, sociologique et culturelle. Basée sur une énorme toile satellitaire c'est effectivement le véritable défi que va affronter la culture arabe. Malheureusement toutes les recherches relative à cette thématique et écrites en langue arabe sont d'une rareté flagrante comparativement à ce qui se fait dans les autres langues étrangères particulièrement en langues anglaise et française provoquant un gouffre civilisation el entre les pays du tiers monde et les pays développés. Cet écart cognitif a occasionné une nouvelle génération de lecteurs et également nouveaux riches. Le dialogue pacifique entre les cultures et civilisation doit se référer à ces variétés et divergences et pendre en considération les valeurs stratégiques pour la protection et la présentation des différences culturelles les dans le sens positif du terme pour enraciner la paix et diminuer de la prédominance américaine sur les pays particulièrement les plus faibles d'entre eux la crise de la société arabe en générale est une crise de valeurs une crise d'objectifs et aussi une crise de mauvaise question. C'est-à-dire une crise identitaire. Enfin il faudrait avoir une grande capacité pour relever le grand défi de la mondialisation qui jusqu' à preuve du contraire c'est qu'un nouveau moyen de colonisation et de déstabilisation des pays du tiers monde.

التصادم الثقافي والحضاري:

لا نزال نواجه الصراع بين القيم والحضارات و الثقافات, حتى اغتدى امرا لا جدال فيه....ومصدر الصراع في العالم لن يصح لا ايديولوجيا ولا اقتصاديا بل انه سيكون ثقافيا, لان التصادم بين الحضارات ستكون له حصة الأسد في السياسة الشاملة.

ليس هذا فقط بل إن الاتصال والإعلام قد غيرا السيادة مفهومها ومعنى مقارنة بما كانت عليه من قبل في القانون الدولي , إذ أصبح الإعلام لبنة الصراع والمواجهة والتحدي, خصوصا وأن الصراع الآن حضاري بالدرجة الأولى, فقد تضاعف مستوى الثورة الإعلامية بجميع أشكالها وأنماطها ... ولم يعد مسموحاً للدول النامية أن تقل فيها نسبة الأمية عن 20% أو أن يرتفع مستوى بحثها العلمي, وهكذا أصبحت قيم أمريكا إلزامية قسرية إجبارية خاصة وأن الصراعات الداخلية والعرقية لا تزال قائمة مجسدة في صراع الشرق والغرب, وصراع الشمال والجنوب وكذا صراع الغنى والفقر.

ولا شك في أن العالم الثالث هو السوق لتصريف المنتجات والمواد. وهذه نظرة ينتبأ العلماء بطول مدتها طالما لم تسارع هذه الدولة إلى احتضان الإعلام والاتصال ومنحهما أهمية قصوى, إذ المواجهة الحضارية اليوم مواجهة بين القوة والضعف ليس إلا..... ويكمن الحل في جذرية التغيير والمواجهة, في نبذ سلطة الحضارات واستعلائها ضمانا لتحقيق ما يسمى بالتعايش السلمي وبالإنسانية الآمنة وغطرستها.

ونقرا هنا بأن الفقر عامل من عوامل سوء التواصل الثقافي بين الشمال والجنوب, ولن يقضى على الفقر إلا بالقضاء على عجرفة الغرب وعلى تعنته في دفاعه عن قيمه وحضارته وسلوكاته وتبذيره. لن نستطيع البتة تصور المستقبل وثقافته مادامت أرقام الفقر في العالم خيالية, ومادامت أيضا نسب الغنى عند الأقلية مرتفعة إلى درجة قصوى. لا يزال الجنوب يحاول التقرب من الشمال مستعينا بقيمه علّه يحاوره- وبلغته هو- وهذه غطرسة ما بعدها أو قبلها غطرسة لكن التغيير حدث, إنه جيل الشباب الذي لم يعد يعترف بغطرسة الغرب, ولم يعد يكثرث به, إنه يعي قيمه, وعلى الشمال أن يجتهد عن فهمها, وإلا فإنه سيكون بعد عقد أو عقدين من الزمان بعيدا على كل البعد

عن الجنوب وعن حقيقة، ومن ثم تقتصر حوزته على ترسانة من النووي ليس إلا 1.

وإذا كان الاستعمار الجديد قد عمد إلى السياسة والاقتصاد بوصفهما عصب المجتمع، فإن مرحلة أخرى من مرحلة ما بعد الاستعمار قد عمدت إلى قوة جديدة للسيطرة ألا وهي قوة الثقافة التي ستدعم وتتقوى لاحقاً. هكذا إذن اعتدت أهداف الدول الكبرى حضارية ثقافية بعد أن كانت اقتصادية سياسية بحت.

تبنى الولايات المتحدة الأمريكية معلوماتها استناداً إلى تلك المحطات الأرضية والفضائية معا التي تتمركز فيها الرسائل عبر الفاكس والتلكس وكذا المعلومات الإلكترونية.

إن اليونسكو تقيس غنى الدول وفقرها بعدد كتبها ومكتباتها وحجم قرائها ومدى ارتباطهم بشبكة السمعي البصري. ومن ثم اعتدى الفقر جديداً مثلما اعتدى الغنى جديداً أيضاً، والاحتكام إلى المعارف والتقنيات أصبح الرأسمال الجديد، وهكذا ارتفعت قيمة المعرفة وتراجعت قيمة المال. فتغير مفهوم السلطة من إلى.

إن سلامة الحوار وسهولته تمكن في تقبله التنوع والاختلاف، وهو الأمر الذي يؤكد الدور الاستراتيجي للقيم في حفاظها على الحضارات وعلى تنوعها. ولذلك فإن القيم اليوم هي مرتبط جلاً الصراعات، ومن ثم فإن التواصل هو سلاح هذه الحرب الجديدة.

لا مرأى في هيمنة السياسة الأمريكية وفي غطرستها، وكذا في السيادة الثقافية الغربية، وهذا هو النظام الدولي الجديد الذي نعيش أحداثه وتفاعلاته لكن يبدو أنه لن يعمر طويلاً... لذلك ينبغي أن ننادي بالتعدد الثقافي ونشيد به وندافع عنه معاً لأنه جسر السلم والاستقرار، وقد أصبح التواصل الثقافي شرط هذا السلام وأساسه لأن الحوار نفسه قيمة روحية وثقافية معاً..... فهو قادر على الإقناع لنبيذ التعجرف الثقافي الذي تنسم به أوروبا وأمريكا لتحقيق العالمية. 2

العولمة والثقافة:

ماذا يقصد بموت الإنسان في عصر العولمة مثلما يصرح دولوز G.PELEHSE ، وما معنى نهاية الفلسفة ونهاية الإنسان، فالفلسفة متواصلة، وهي إن ماتت في مكان، لا تلبث أن تظهر بل وتبحث في آخر. 3

العولمة هو موضوع السياسة، هو موضوع شائك معقد وواسع وسلاح ذو حدين، حد إيجابي، وآخر سلبي، فهناك من ينظر إليه على أنه أمر لابد من الانفتاح عليه ولا مناص لكل الدول من أن تمر به، ومن يراه أمركة للعالم وارتباطا بأمريكا واقتصادها، ومن ثم فهو شر لابد منه.

العولمة هي ظاهرة العصر المميزة، كانت نتاج مخاض اجتماعي وسياسي وثقافي وفكري وإعلامي معاً، إلا أنها في حقيقة الأمر ليست ظاهرة جديدة، وإن كانت تسميتها جديدة، إنها ظاهرة تعبر عن واقع قديم حين سيطرت الأمم الكبرى والدول العظمى على غيرها من الدول والبلدان، فلنتأمل مثلاً سيطرة الإمبراطورية الرومانية على العالم في زمانها، وكذا نابليون الذي نشرت حملته أساليب الحياة الفرنسية وثقافتها، تلك التي لا تزال سائدة في معظم تلك الأقطار.

اليوم نشهد عولمة أخرى، هي عولمة الإعلام والاتصال، وهي ثورة اختصرت المسافات واذابت الأبعاد، وقضت على الحدود الثقافية التي تحكم الشعوب، مما كان له أبعد الخطر على الأمم والشعوب وعلى ثقافتها، خصوصاً منها الشعوب المستضعفة.

إن زمن العولمة سلك الاتصالات وبعد أن اختصر الزمان وتقلص المكان، فاعتدى الأفراد هدفا سهلاً للعولمة ومراميها، لذلك فإن ضرورة تحصين هؤلاء وأولئك ينبغي الإسراع إليها مع إقامة حاجز يخفف من وطأتها وحدتها. إن أغلبية القنوات الفضائية تجسد فكرة عولمة الفكر، استعانة بأساليب الإشهار والإعلان لترويج النتائج الأمريكي. وتسعى هذه العولمة إلى جعل الانكليزية لغة العالم، وأكبر دليل على ذلك هو أن ما يجاوز 80% من معطيات الانترنت يثبت بالانكليزية، مقابل 2% بالفرنسية و 9% بالألمانية في حين يوزع 1% فقط على بقية اللغات الأخرى.

وعولمة الثقافة تزداد تأثيراً أو تأثراً لأن عولمة كل من السياسة والاقتصاد والإعلام معاً تؤدي إلى عولمة الثقافة أيضاً، تلك التي يسعى إلى جعلها أنموذجاً واحداً أو موحداً ليحتذى. ونضطر إلى القول بأن العولمة الثقافية اليوم إن هي إلا تجسيد لأمريكا وقيمها وثقافتها، تجسيد لهذا القطب الأحادي

الأمريكي، ولسيطرته، التي تعني الأمركة، الهدف القديم لأمريكا، والذي جعل أحدهم يصرح قائلًا بأن هدف أمريكا هو أمركة العالم كله.

والقول بالعولمة، ليس هو ذلك بالعالمية، إذ العولمة هيمنة واقتصاد في حين أن العالمية طموح وتحد، والعولمة تقتحم الآخر وتنفيه وتسلبه خصوصيته لكن العالمية تغنيه وترفعه إلى مستوى عال وعالمي في أن معا .

يتبدى خطر العولمة في تلك الأحادية المطلقة التي تضحد الثقافات والحضارات، بل وتلغي خصوصيات الثقافة برمتها؛ مما يجعل الثقافة والحضارة معا في خطر جسيم . وينبغي ها هنا أن نفرق بين المثاقفة بوصفها منحى حواريا إيجابيا، وبين الغزو الفكري الثقافي بوصفه منحى استيلابيا. إن ثقافة أي مجتمع تتبدى في فنه وتقاليده الشعبية؛ وموسيقاه، وسائر تعابيره التي تكسبه مظهرا ثقافيا، لأن خالق هذه الثقافة إنما هو شعبها، وليس فردا، هي حصيلة تراكم معارف أجيال كثيرة ومتعاقبة، فالثقافة إذن مرتبطة بالإنسانية، وبالإنسان، هذا الأخير هو الوحيد الذي يملك الثقافة وقد ساعدته قدراته الفكرية . الراقية علي ذلك، الأمر الذي جعله قادرا على الإبداع والابتكار والتفاهم والتواصل وكذا التكيف مع البيئات المختلفة 4.

إن كلّ السلوكات الفردية والجماعية إلا وتتم داخل هيئة ثقافية، فالأذواق والأفكار والمعاملات لا تخرج كلها عن حقل الثقافة، هذه التي تعد الأجيال إعدادا سليما وتنهض بمجالات المجتمع المادي والفكري معا، مما يقوي الصلة بين المجتمع والثقافة ويؤكد استحالة فصلهما 5 .

والثقافة منظمة تضمّ العقائد والمعارف والقيم والعادات وأنماط السلوك بالمنظور الثابت المتعلق بفترة محددة، أو بالمنظور المتحرك المرتبط بالتراث الممتد علي مرّ العصور، ذلك الذي يشكل الثقافة ويضع أسسها ولبناتها 6 .

لكل المجتمعات قيمها ولغاتها و معتقداتها وكذا قوانينها وأعرافها وطقوسها وأساطيرها، وهذا يؤسس ثقافتها، تلك التي تتوافق والبيئة والمجتمع، وكلّ تغير ثقافي إلا ويعد تغيرا اجتماعيا، هكذا إذا الثقافة متكاملة مستمرة، إنها في

ديمومة منقطعة النظير، وليحدث التبادل المعرفي، ينبغي أن تتأسس المثاقفة على احترام الآخر، لأن هذه الأخيرة ظاهرة اجتماعية وإنسانية معاً، شأنها في ذلك شأن الثقافة ليس إلا. إن الثقاف هو الذي يحدد نمط الثقافة ويؤكد قياسها وهو الذي يشكل أيضاً ما يسمى بحوار الحضارات 7.

وحين تحتك الثقافات المختلفة وتمتزج، تولد ما يعرف بالمثاقفة، فالمثاقفة إذن من أشكال التغير الثقافي، وإن كانت لا تلغي الثقافة ولا تغييها. إن نظرية الاتصال الثقافي أو ما يعرف بالمثاقفة تستدعي الاحتكاك بين الأمم والشعوب، وقد عمل كثير من الباحثين الأمريكيين والأوروبيين على التأسيس للأنثروبولوجيا الحديثة استناداً إلى الثقاف والمثاقفة، والمثاقفة تفيد الاحتكاك، والتواصل والتلاقي والتمازج والانصهار وتؤكد عملية التطور الثقافي لأنها ظاهرة إنسانية إيجابية غير مستهجنة تحبذ التفتح على الآخر، وتنبت التفوق؛ لأن التأثير والتأثر مطلوبان في العملية الاتصالية إذ الشعوب لا حياة لها بمعزل عن غيرها، لا بد من أن تتحاور وتتبادل الثقافات حتى لا تموت؛ لأن العزلة المعرفية تؤدي إلى ذبول الحضارات وضمحلل الأمم 8.

إن العصر الذي نعيشه هو عصر العولمة بلا منازع، عصر التكنولوجيا والإعلام والاتصال والثورة المعلوماتية. والعولمة قد نعتبرها الشمولية أيضاً أو الطفرة التكنولوجية التي تحيل على القيم وعلى الذهنيات التي تؤسس الثقافة؛ ومن ثم فإن خلفياتها الاجتماعية واقتصادية وقيمة... والمجتمع الذي يحيا في ظلّ العولمة والشمولية تحكمه البنية التحتية، إذ السيطرة فيه للمنتج لا للمستهلك ثم إن الثقافة العربية اليوم هي ثقافة استهلاك، وليست ثقافة إنتاج... وتبدو وثيقة الصلة بالتراث وضعيفة الارتباط بالعصر والمستقبل...

لقد انتشرت ثقافة الآخر ولغته، مثلما انتشرت بضاعته... لذلك فإن قدرة اللغة العربية على المواجهة والصمود تظلّ محدودة إن لم تكن منعدمة.... واليوم لم تعد مسألة التراث مجدية بقدر ما أصبح مهماً أن نتجاوز بعض إرماصاته، ولن يحدث ذلك إلا في ظل ممارسة جديدة حتى لا نعتقل ماضيها بل نخلصه ونخلص أنفسنا.

وقد اعتدى العالم اليوم قرية صغيرة على حد تعبير (ما كلوهان) منذ أربعة عقود، ورغم ذلك فنحن نتحدث عن الاختراق الثقافي، فثمة إذا التباس، لأن

أطروحة القرية الصغيرة تتنافى وأطروحة الغزو الثقافي... والغزو يظل هو الغزو وإن اختلفت أساليبه وطرائقه.
لا يمكن للعولمة البتة أن تفرض ثقافة موحدة واحدة، لأن أفاقها اقصائية، وهي للثقافة الآخر اختزالية، فضلا عن أنها قاتلة لكل مبدأ اختلاف أو تنوع، وهي اليوم منظومة قيم عاجزة عن صهر كل الثقافات في ثقافتها، لذلك ستظل الثقافة السلاح الوحيد للردع والتصدي وللمواجهة لكل غزو أو استيلاء أيا ما كانت أشكاله وأسماؤه ودلالاته.9

الهوامش:

- (1) المهدي المنجرة، حوار التواصل، عالم التربية، مجلة محكمة تعنى بالعولمة وحوار الحضارات والثقافات- العدد 17-2007 ص 46-47.
- (2) نفسه، ص 48-49-50.
- (3) G. Deleuze et Guattari. Qu'est-ce que la philosophie ? C.P. Gérés Tunis. 1993. p. 106.
- (4) محمد عبد المعبود، مرسى، التفسير الاجتماعي للثقافة، دار المعرفة الجامعية 1996 ص 8-9-32.
- (5) محمد الدقس، التغير الاجتماعي بين النظرية والتطبيق، دار مجدولاي للنشر والتوزيع، عمان الاردن، ط1. 1987 ص 60-61.
- (6) فيصل محمود الغرابية، الثقافة العربية في عصر الاتصالات والعولمة، ندوة استراتيجية للثقافة والتنمية، جامعة الكويت ص 53.
- (7) دوني كوتش، مفهوم الثقافة في العلوم الاجتماعية، ت قاسم المقداد دار الكتاب العربية 2002 ص 65-66.
- (8) عمار محمد، العطاء الحضاري للإسلام، دار المعارف، سلسلة اقرأ، القاهرة، 1997. ص 130-131.
- (9) يحيى الجياوي، واقع البحث العلمي ومستقبل الثقافة العربية عن عصر العولمة ووسائط الاتصال، عالم التربية العدد 17-2007 ص 35-40.

CV
Docteur: ALEM Leila
Université Es Sénia Oran
Faculté des Lettres, Langues et Arts
Département de traduction
Grade: maitre de conférences
Spécialité: littérature comparée
Email: leilaalem12@yahoo.fr